طاغية القرية

مأساة ذات فصلين

بقلم يوسف غصوب

الفصل الاول

المشهد الثاني

مريم . ليلى . ابو شهيد . ثم فارس

(عندما لا تكون المرأتان مشتركتين بالحديث يمكنهما الخروج من المسرح والعودة اليه والاهتمام بامور بيتية)

ابو شهيد ماذا ارى ؟ ما تصنعين يا ليلى ؟ من تكلمين ؟

ليلى هذا فقير يا ابي.

ابوشهيد ها ! ها ! ها ! توزعين الخبز الآن من النوافذ . . . انا أتعب واشقى واسهر الليل ، وانت توزعين الخبز بالارغفة !

ليلى فقير مسكين اعمى !

ابوشهيد فقير ! فقير ! الفقر اصبح صنعة رابحة . نحن نشتغل لنطعم الفقراء . ما يمنعه من العمل ؟ فقير ! لماذا لا يتعب ؟ لماذا لا يشتغل ؟ هذا كسلان يعيش على ظهر الناس.

ليلى ابي . . .

ابو شهيد تعلمين الناس الكسل بالاحسان اليهم . فالافضل ، يا بنت ، ان لا تعودي الى مثل هذا . واذا رأيتك بعد اليوم توزعين الخبز فلا ادري ما اصنع ! . . .

مريم ابنتك يا خليل !

ابوشهيد اغربي من وجهي انت وابنتك.سوف لا تتركان لي شيئاً . لا رعاكما الله وسوّد وجهيكما !

(مريم وليلى تتروبان في عمر الدار وتأخذ الام في تطييب خاطر ابنتها)

ابو شهيد (بعد ان سكن غضبه قليلاً ينظر الى الباب وينادي فارساً الواقف خارج الباب)
- يا فارس ، ادخل (يجلس ابو شهيد) اجلس هنا ... ماذا تريد ؟

فارس يا سيدي ، نحن على ابواب القرّ ، والموسم هذه السنة مقبل ..

ابو شهيد لمَ هذه المقدمات كلها . قلْ لي ماذا تريد ؟

فارس يلزمني يا سيدي شيء زهيد .

ابو شهيد كم ؟

فارس عشرون ليرة .

ابو شهيد بأيّة كفالة ؟

فارس اية كفالة ! ليس لدي كفالة . هذا المبلغ اردّه لك بعد القطاف ، فان الموسم مقبل هذه السنة

ابو شهيد من يضمن لي ان يكون الموسم مقبلاً الى النهاية ؟ واذا احترق خمّك ، او مرض الدود ، او نزل بك اية مصيبة كانت فمن يرد لي المال ؟ هل يذهب مالي ادراج الرياح !

فارس معاذ الله ! ابيع كل شيء وادفع لك .

ابو شهيد (بعد ان يفتكر قليلاً) طيّب ! طيّب ! ولكن قلْ لي . انك الى الآن لم تطلب مني شيئاً ، وكنت في الماضي ، اذا احتجت الى قليل من المال ، استقرضته من الغير . انت تعلم من اعني بهذا « الغير » .

فارس نعم ، انيس الرامي .

ابو شهيد انيس الرامي . هذا معبودكم في القرية . فلمَ لم تطلب منه ؟

فارس انيس الرامي رجل كريم غيور قد انقذني مراراً كثيرة من مصاعب جمة .

ابو شهيد لم لم تذهب اليه ؟

فارس انه في ضيق ...

ابو شهيد في ضيق ... ها ! ها (ترى علامات السرور على وجهه) اني رأيت الضيق يسعى اليه . يبذّر ماله ، يعطي شمالاً ويعطي يميناً ، ولا يحاسب .

فارس انه رجل كريم .

ابو شهيد (على حدة) قد جاء وقته : بيته جميل واراضيه خصبة (يخاطب فارسا) هل هو حقيقة في ضيق ؟

فارس في ضيق شديد حتى أنه يريد بيع ارضه . انما يريد البيع نقداً.

ابو شهيد أح ! أح ! واين يجد المال نقداً في هـذه القرية ؟ . . . اتعرف كم هو طالب ؟

فارس لا أظن انه يطلب شيئاً كثيراً.

ابو شهيد قل ، يا فارس ، اصحيح انه يريد البيع ؟ هل انت متأكد ذلك ؟

فارس ذلك لا شكّ فيه ، فقد سمعته انا بأذني.

ابو شهيد واي مبلغ يطلب ؟ ألف ليرة ؟

فارس لا ادري . . . لا أظن انه يطلب اكثر من الف ليرة ، فهو في حاجة شديدة الى الدراهم.

ابو شهيد طيّب . . لنعد الآن الى ما كنا فيه . كم قلت لي انك تريد من المال.

فارس عشرين ليرة ، يا سيدي.

ابو شهيد طيّب ! أعطيك عشرين ليرة اذا رهنت لي البيت . ثم تدفع على هذا المبلغ عشرين بالمئة فائدة.

فارس هذا غبن ، يا سيدي.

ابو شهيد غبن او غير غبن . فاذا شئت فالمال جاهز ، والّا فمع السلامة.

فارس والدتي مريضة يا سيدي.

ابو شهيد شفاها الله ! هذا امر لا يعنيني (يهم بالدخول الى الغرفة)

فارس سيدي.

ابو شهيد اذهب الى الرامي فانه يرمي دراهمه . اما انا فلا.

فارس (يرفع صوته قليلاً) الرامي رجل شريف كريم فلا تشتمه به.

ابو شهيد أه ! أه ! وتغضب ايضاً . . . تأتونا محتاجين وتغضبون (بتهكم) اذهب يا . . . يا ولدي ، اذهب بسلام . . . البلاد واسعة . .

فارس البلاد واسعة . ولكنك في هذه القرية الرجل الوحيد الذي في يده مال.

ابو شهيد اذا كان الامر كذلك فاحفظوا لي هذه المنة عليكم . أقرّوا بفضلي ،

لا تتعجرفوا . لا تتكبروا .

فارس عفوك ، سيدي ، فقد اخطأت . . . ان والدتي مريضة .

ابو شهيد طيب ! طيب ! ولكن لا تعد الى رفع صوتك مرة ثانية . فاذا تريد الآن ؟

فارس المال .

ابو شهيد هل قبلت بالشرط . تدفع بالمئة عشرين . ثم ترهن البيت .

فارس قبلت . . .

ابو شهيد طيب ! طيب ! . . (يكتب كمبيالة) وقع هنا .

فارس والمال ؟

ابو شهيد وقع اولا .

فارس ولكن ، يا سيدي . المال . . .

ابو شهيد ما هذه المماطلة ؟ وقع . والا فمع السلامة (فارس يوقع السند فيأخذه ابو شهيد ويدخل الغرفة ثم يرجع ويده عشر ليرات يدفعها لفارس) خذ . . .

فارس هذه عشر ليرات فقط .

ابو شهيد طيب !

فارس ولكن قد وقعت لك سندا بعشرين .

ابو شهيد ليس عندي غيرها الآن . ادفع لك الباقي عند عقد الرهن .

فارس انا في حاجة اليها اليوم .

ابو شهيد قلت لك ليس عندي غيرها . الم تسمع ؟ . .

فارس يا سيدي خذ هذا مالك وأرجع لي السند .

ابو شهيد ما عندك ثقة ؟ قلت لك ادفع لك الباقي عند عقد الرهن .

فارس ثقتي عظيمة . ولكن هذه الدراهم لا تكفيني . لا تسد حاجتي .

ابو شهيد خلص ! . قد انتهى الامر . اذهب . لا تحوجني الى اخراجك بالقوة . مع السلامة . واذا شئت فهات المال واذهب .

فارس والسند الذي وقعته ؟

ابو شهيد السند . تراه بعد سنة عند المطالبة بالمال .

فارس سيدي ، ما هذه القصة ؟ ما هذه الورطة التي ورطتني بها ؟ قالوا لي عنك كل هذا فلم اصدق ... بحياتك ، ردّ لي السند يا سيدي ... ارتمي على قدميك . ردّ لي السند . ردّ لي الورقة . انا لست بحاجة لشيء .

مريم ما هذا العمل ، يا خليل ؟ الا تخاف الله ! ألا تخاف الناس ! ما هذه القسوة ؟

ابو شهيد انتِ ايضاً . كم من مرة قلت لك لا تتدخلي في اموري !

فارس قالوا لي انك خدّاع فلم اصدق . فلا تغيّر بك ظني .

ابو شهيد انا لا يهمني ما تظن .

فارس ارجع لي السند .

ابو شهيد لا سند ولا مال .

فارس ارجوك ، يا سيدي ، استحلفك بكل عزيز لديك .

ابو شهيد قلت لك تتعب باطلاً .

فارس استحلفك بولدك المسافر ردّه لك الله !

ابو شهيد ليس لي ولد . اذهب من هنا . كفى ! كفى !

مريم لا تجدّف ، يا خليل ، خف الله ! ردّ له السند .

ابو شهيد اسكتي ، يا امرأة !

مريم لا اسكت . لا اخاف منك . الا تخشى غضب الله ، الا تخاف ان ينقلب علينا البيت ؟!

ابو شهيد متى كنت ترفعين صوتك بحضرتي ! أنى لك هذه الجرأة ؟ اذهبي من وجهي . قلت لك اذهبي ... وانت يا فارس قد كان ما كان ...

فارس يا لك من غليظ ! يا لك من قاس ! انا ذاهب .. لعنة الله عليك ... مريم وليلى رحماكِ يا عذراء !

فارس ليكن هذا المال سماً في حلقك . ليت هذا المال يكون ناراً آكلة تلتهم احشاءك . جازاك الله عنا ! انتقم الله لنا منك ! لعنك الله ! لعنك الله ! (يخرج)

المشهد الثالث

مريم . ليلى . ابو شهيد

ابو شهيد أه ! أه ! ما ابرعهم باللعنات ! وانشلهم في جمع المال !

ليلى ربي ردّ عنا غضبك ! ايتها العذراء ، كوني لنا عوناً . اشفعي بنا .

ابو شهيد كفاك صلاة ، يا بنت ، وانت ، يا مريم ، كفي عن البكاء . فتاة حمقاء ، وعجوز خرفة ، اجرّهما وراقي . ثم صُور على الجدار يحرق امامها الزيت والبخور . لا قيمة عندكما لشيء . تحرقان الزيت كالفلس للحريق . لا ادري ما يمنعني عن نزع هذه الصور . قد اصبح بيتي كنيسة . . . ابن الخوري ، يا مريم . . قد رأيته امس ماراً من امام البيت ألم يكن هنا ؟ ألم تعطه قداسات ؟ . . .

مريم يا خليل . . .

ابو شهيد بس ! الا تكفين عن التقيق . ما كنت احسب ان بيتي بركة للضفادع .

مريم يا خليل . اسمع قليلاً (ابو شهيد يتمشى من جانب الى جانب وهو يفكر وامرأته توجه اليه الكلام وتتبعه بنظرها وهو لا يتنبه لشيء بل يحسب هل لديه من المال ما يكفي لشراء اراضي الرامي) . ارفع هذه الغشاوة عن نظرك ، ان نظرك هذا لمخيف . ان يدك هذه المرتجفة الاصابع انها ليد هائلة راعبة . انها يد سفّاك دماء ، عاصر قلوب ، يد مفترس . الا تسمع اللعنات ، الا تسمع صوت الارامل ، صوت الايتام ؟ اليس في صدرك رحمة ؟ اليس في صدرك قلب ؟ الا تذكر ابنك . . .

ابو شهيد لا بدّ لي من الف ليرة لشراء اراضي الرامي . . .

مريم الا تشفق على فتاتك المسكينة ، على هذا القلب الطاهر ، على هذه الزنبقة التي تكاد الاشواك تخنقها ! ما ذنبها ؟ ما ذنبي انا ؟ ينفر منا الناس . نعيش منقطعين عن العالم الخرف واللعنة والحقد تحفّ بنا . . .

ابو شهيد ارض واسعة . فيها ماء ، واشجارها قائمة ، وتربتها جيدة ، اذا اشتريتها

اصبحت اكبر ملاك في لبنان ... طالما ضحكتَ مني ، يا رامي ، فآن ان تبكي. المال. المال. ..هو شيء عَجَب ، شيء عظيم ، عجيب غريب . تضع المال في كفة ، وتضع جميع خيور العالم في كفة ، فترجح كفة المال .. الناس جبناء يرتعشون . يخافون شيئاً لا وجود له يسمونه الضمير . من منكم رأى الضمير ؟ يخافون غضب الصور والقديسين . يركعون امامهم يصلّون . واذا مرّ احدهم بامنى قبض عينه يده خوف الاثم خوف الخطيئة ... يخاف ان يقع في الخطيئة ! اه .. اه .. بُلهاء ! الافضل لهم ان يكونوا عبيداً تحت السوط . اما نحن فنحن الاسياد : قليل من البخل ، وقليل من الطمع ، ويرتجف الناس منا ، ويخشون بطشنا ، ويجولون حول بيوتنا مستعطفين صاغرين يسألوننا ان نتوسل لهم في امورهم . ونحن نأخذ منهم اجرنا ونتوسل لهم . لا نعطي شيئاً مجاناً . يخافنا الكبير والصغير لاننا اغنياء ، واصحاب مطامع ، لان ليس لنا قلب ... هل الذّ من الغنى ! هل اجمل من تلك الهالة الذهبية التي نتعمّم بها والتي تبهر عيون الناظرين الينا . يلومنا البلهاء لاننا بخلاء . ثم يخرّون على يدنا يقبلونها .

مريم اني اتوسل اليك ، ايتها العذراء ، ان تردي عنا غضب الله . انه مجنون قد اختلط عقله .

ابو شهيد الا تزالين هنا ايتها الضفدعة ... ايتها المرأة النتّاقة الكآبة . اهذا عرفانك للجميل ؟ اي شيء كنتِ ؟ نشلتك من الفقر المدقع ورفعتك الى مركز يحسدك عليه جميع الناس ، وانت لا تنفكين تنقين .

مريم ليتني بقيت كما كنت ولم ارَ ظلمك وقساوة قلبك .

(يقرع الباب قرعاً لطيفاً)

ابو شهيد من يقرع الباب في مثل هذه الساعة ؟ لعلّه احد الفقراء . قد اعتاد هؤلاء الكسالى المجيء الى هذا البيت يضحكون عليكِ وعلى ابنتك .. افتحي يا ليلى وان كان هذا الرجل من الفقراء فاغلقي بوجهه الباب . (يخرج) (لها صلة)